

العلمانية مطلباً للاجتماع السياسي في الفضاء التعددي - قراءة في الأطروحة الهابرماسية

Secularism as a requirement for political society in a pluralistic space - a reading of the Habermasian thesis

إيمان وناسي¹، حسان بركان²

¹ مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة 1 (الجزائر)، imane.ouannassi@univ-batna.dz

² مخبر حوار الحضارات والعولمة، جامعة باتنة 1 (الجزائر)، hassane.berkane@univ-batna.dz

النشر: 2026/06/30

القبول: 2026/06/25

الاستلام: 2025/12/19

ملخص:

المجتمع ما بعد العلماني هو مشروع نقدي طرحه يورغن هابرماس يؤكد أن المجتمعات الحديثة وصلت إلى مرحلة تتجاوز الصراع التقليدي بين الأصولية الدينية والعلمانية المتطرفة. في هذا المشروع، يرى هابرماس أن المواطنين المتدينين يمكنهم "ترجمة" خطابهم الديني إلى لغة عامة يسهل فهمها من قبل العلمانيين، مما يتيح لهم التواصل والمناقشة ضمن المجال العام بشكل بناء. هذه الفكرة تمثل بديلاً لأطروحة العلمنة الكلاسيكية التي كانت تركز على فصل الدين عن العقل أو استبعاد الدين من المجال العام. يستند مفهوم هابرماس للمجتمع ما بعد العلماني إلى أساس اجتماعي وفلسفي يقوم على فكرة أن العودة الراهنة للدين إلى المجال العام يجب أن تتحقق عبر الحوار والتفاهم، مع ضرورة قبول الجماعات الدينية للدستور العلماني والتعددية الثقافية في الدولة الديمقراطية. بيد أن هذا المفهوم يحتاج إلى المزيد من التبيين، خصوصاً عند تطبيقه على المجتمعات غير الأوروبية حيث تتباين الحياة الدينية والأوضاع الاجتماعية كذلك، هناك انتقادات لمفهوم الترجمة الخطائية نفسه، والقيود التي تواجهها، خاصة في مدى إمكانية تحقيق مجتمع ما بعد العلماني عملياً، إذ يعتمد كثيراً على قدرة المتدينين على التعبير بلغة عامة وقبول المناظرة الذكية التي قد تكون صعبة في بعض السياقات الثقافية والسياسية. ونخلص في هذا المقال إلى أن هابرماس يرى في المجتمع ما بعد العلماني كمرحلة جديدة تقوم على الحوار التواصلي بين الديني والعلماني عبر الترجمة الخطابية، مع أهمية تعزيز الممارسة الأخلاقية للدين ضمن إطار الدولة الديمقراطية، مع الإشارة إلى الحاجة لتطوير المفاهيم لتتلاءم مع تعقيدات المجتمعات الحديثة المختلفة.

الكلمات المفتاحية: العلمنة؛ الدين؛ ما بعد العلمانية؛ هابرماس؛ الفضاء العام.

Abstract:

Post-secular society is a critical project put forward by Jürgen Habermas that asserts that modern societies have reached a stage that goes beyond the traditional conflict between religious fundamentalism and extreme secularism. In this project, Habermas argues that religious citizens can "translate" their religious discourse into a general language that is easy for lay people to understand, allowing them to communicate and discuss constructively within

the public sphere. This idea represents an alternative to the classical secularization thesis, which focused on separating religion from reason or excluding religion from the public sphere. Habermas's concept of post-secular society is based on a social and philosophical foundation based on the idea that the current return of religion to the public sphere must be achieved through dialogue and understanding, with the need for religious groups to accept the secular constitution and multiculturalism in a democratic state. However, this concept needs further clarification, especially when applied to non-European societies where religious life and social conditions also vary. There are criticisms of the concept of rhetorical translation itself and the limitations it faces, particularly in the extent to which a post-secular society can be achieved in practice, as it relies heavily on the ability of religious people to express themselves in a general language and accept intelligent debate, which can be difficult in some cultural and political contexts. In this article, we conclude that Habermas sees post-secular society as a new stage based on communicative dialogue between the religious and the secular through rhetorical translation, with the importance of strengthening the moral practice of religion within the framework of the democratic state, while pointing to the need to develop concepts to suit the complexities of different modern societies .

Keywords: secularization; religion; post-secularism; Habermas; public

1. مقدمة:

المتدينين والعلمانيين في مناخ من الاحترام المتبادل والتفاهم المشترك .

تهدف هذه النظرية إلى تجاوز الثنائية التقليدية بين الدين والعلمانية، واقتراح نموذج جديد للتعايش داخل المجتمعات التعددية المعاصرة، يقوم على التواصل الفعال والحوار البناء بدلاً من الصراع أو الإقصاء.

ومما سبق يمكننا بلورة الإشكالية كالتالي:

كيف يمكن لنظرية ما بعد العلمانية عند يورغن هابرماس أن تعيد بناء العلاقة بين الدين والعقلانية في الفضاء العمومي الحديث، بحيث تتجاوز حدود البراديغم العلماني الكلاسيكي وتؤسس لنموذج تواصلية جديد يقوم على الاعتراف المتبادل والتفاعل الخطابي بين المتدين والعلماني؟

ومن خلال هذه الإشكالية يمكننا طرح مشكلات ثانوية وهي كما يلي:

ما الخلفيات الفلسفية التي تشكل الأساس النظري لمفهوم العلمنة الكلاسيكية، وكيف ساهمت في ترسيم حدود الدين داخل المجال العام؟

تمثل العلمنة الكلاسيكية أحد المفاهيم المحورية في فهم العلاقة بين الدين والدولة داخل المجتمعات الحديثة، إذ تقوم على مبدأ فصل الدين عن المجال العام، وجعل العقلانية القيمة العليا المنظمة للحياة الاجتماعية والسياسية. غير أن هذا التصور تعرض لانتقادات عميقة، خاصة مع بروز ظاهرة عودة الدين إلى المجال العمومي، وما رافقها من اهتزاز للبراديغم العلماني الذي افترض انحسار الدين وزوال تأثيره في الحياة العامة.

في هذا الإطار، أُعيد التفكير في الدين بوصفه مصدرًا للقيمة في المجتمع التعددي، لا يمكن تهميشه أو استبعاده، بل ينبغي اعتباره فاعلاً اجتماعيًا وثقافيًا يسهم في إثراء التعددية والحوار مع الأطر العلمانية.

انطلاقًا من هذا المنظور، طوّر يورغن هابرماس مفهوم ما بعد العلمانية، الذي يقوم على مبدأ الترجمة الخطابية، أي إمكانية ترجمة الخطاب الديني إلى لغة عقلانية مشتركة يفهمها جميع المواطنين، بما يتيح قيام حوار تواصلية بين

قيم الحداثة، الهوية، وكذا الدور الذي يلعبه الدين في المجال العام.

لقد استعمل مصطلح "العلمنة" للمرة الأولى من أجل الدلالة على قيام الدولة بمصادرة الاديرة والأراضي التي استولت عليها الكنيسة بعد الحروب الاصلاحية الدينية وبعدها أصبحت العلمنة تعني: "الممر والانتقال أو نقل الأشخاص والأشياء والوظائف والمعاني من موقعها التقليدي في النطاق الديني الى النطاقات الزمنية (خوزيه، 2005، صفحة 27)، بهذا يقر كازانوف خوزيه أنه تم الانتقال من الاعتماد على الكتب المقدسة الى الاعتماد على العقل وذلك لمواجهة الواقع واخضاع هذا الواقع لمعايير العقل وهذا ما خلق تحولاً حاسماً في تاريخ الفكر الانساني منتقلاً من الديني الى العلماني.

كما نجد أنا طلال أسد يقول أن "لم تعد سردية التقدم الخطي المباشر من الديني إلى العلماني مقبولة (أسد، 2017، صفحة 15) ويقصد بهذا أن العلمنة الكلاسيكية أو الفكر الغربي في القرن التاسع عشر والقرن العشرين كان يتصور أن كل المجتمعات لها نفس المسار علمياً أن تمر به، بداية بمرحلة دينية تقليدية محضة وبعدها مع الحداثة يتراجع الدين ودوره لتنتهي بالوصول إلى مجتمعات عقلانية وعلمانية بالكامل. حيث يعتبر هذا التصور قاصر لأن له اتجاه حتي واحد وأن الواقع أثبت عكس هذا فالعديد من المجتمعات الحديثة لا تزال دينية وبقوة، ومنه فالدين لا يختفي بل يعاد تشكيله ويتأقلم معه هذه المجتمعات.

حسب خوزيه كازانوف ان العلمنة ترتبط أكثر بتراجع الأهمية الاجتماعية والسياسية للدين، لكن دون الغاء الدين نهائياً من حياة الافراد، "في

كيف أدت التحولات الاجتماعية والثقافية في المجتمعات الحديثة إلى زعزعة النموذج العلماني التقليدي وإعادة طرح الدين كمصدر للمعنى والقيمة؟

ما الأسس الإبستمولوجية التي يقوم عليها مفهوم "ما بعد العلمانية" في فكر هابرماس؟

كيف تُسهم "الترجمة الخطابية" في إحداث تواصل عقلاني بين الخطابين الديني والعلماني داخل الفضاء العمومي؟

2. العلمنة الكلاسيكية ونقدها

1.2. فقدان الأهمية الاجتماعية للدين في بعض المجتمعات الحديثة

تعتبر العلمنة من أبرز التحولات الفكرية التي شهدتها التاريخ الحديث، وهي عملية اجتماعية تاريخية يتم فيها تقليص وحصر دور وتأثير الدين في المجال العام، خاصة في السياسة والقانون والتعليم، وبهذا ارتبطت العلمنة بنشوء الحداثة وتطور العقلانية الغربية، إلا أنها لم تتخذ مساراً خطياً بل كان لها العديد من الأشكال وذلك لتعدد السياقات الثقافية والسياسية. وقد ظهرت العلمنة بداية في أوروبا وذلك مع التحولات الكبرى التي أحدثتها النهضة، وبعدها تعززت مع الثورات العلمية والفلسفية في العصر الحديث، لتصبح بعدها إطاراً هو من يحدد علاقة الدين بالدولة والمجتمع.

والعلمنة ليست فقط مجرد مفهوم نظري بل هي عملية واقعية تظهر جلياً في القوانين والمؤسسات وكذا أنماط التفكير والسلوك. ولدراسة العلمنة عظيم الأهمية من أجل فهم وتحديد طبيعة التحولات الحاصلة في المجتمعات المعاصرة، بالخصوص مع الجدل الحاصل حول

ثانياً: العلمنة كخصخصة للدين ويقصد بها ذلك الانتقال للدين من المجال العام الى المجال الخاص بحيث يتميز بالفردية الدينية أي الدين أصبح متعلقاً بالشخص وممارساته وإيمانه دون أي دور في الحياة الاجتماعية والسياسية. (casanova، 2024، صفحة 40)

ثالثاً: العلمنة كاضمحلال أو تراجع للمعتقدات الدينية ويقصد بها أن التقدم العلمي والعقلاني داخل المجتمع الحديث يؤدي الى اضمحلال الممارسات الدينية فيعارض هذا الطرح كازانوفاً لأنه يرى أن هذا مجرد تراجع للدين وليس نهاية له وهذا ما يعيد تشكل الدين في المجتمعات الحديثة في صورة جديدة تتماشى وهذا التطور في العلم وبه تتعدد أنماط التدين وأدوار الدين توزع بسبل أخرى داخل هذه المجتمعات الحديثة (casanova، 2024، p. 60).

من خلال هذه المستويات يظهر كازانوفاً أن التجربة الحديثة لنظرية العلمنة قد استمر حضورها بعدة أشكال وتكيفت مع سياقات الحداثة لهذا لا تفهم العلمنة بوصفها اقضاء نهائي للدين بل يجب النظر اليها كتحول في انماط التدين، بحيث ينتقل التدين من الصيغة الجماعية الى الصيغة الفردية والتي تتميز فيها هذه الأخيرة بأنها تأملية وأكثر تعقيداً، وان هذا التحول يفرض إعادة النظر في الطرح القائل باختزال الدين وحصره في الجانب الطقوسي أو الغيبي بل يجب تفعيل الدين والعقلاني دخل المجال العام أي على الدين أن يعاد انتاجه ضمن شروط اجتماعية جديدة.

وهذا نخلص أنه لابد من فهم العلمنة في سياقاتها المتعددة بدل فرض النموذج الكلاسيكي الواحد.

ثمانينيات القرن العشرين أحد الافتراضات المسبقة لنظرية العلمنة برفضه أن يكون مخصصاً ومهمشاً، بل برز بصفته فاعلاً رئيساً في المجال العام وبدا قادراً على التعبير بحسب السياق عن عدد من شؤون المجتمع المدني: التلوث والاجهاض ومشكلات الهجرة والتعصب العنصري وقمع السلطات والاستغلال الاقتصادي" (مارتن، 2018) ومعناه أن الكنائس صارت تهتم أكثر بالشأن الداخلي والروحي، لكن هذا لم يمنعها من العودة للواجهة أحياناً والتدخل في قضايا اجتماعية أو سياسية عامة وهذا ما بينه كازانوفاً بمعنى أنه رغم مسار العلمنة، الدين لم ينكمش تماماً بل تكيف وأعاد تشكيل دوره في الفضاء العام، أي إعادة تموضعه مع احتفاظه بقدرة على التأثير في القضايا الكبرى. يعد خوزيه كازانوفاً من بين علماء الاجتماع الذين وضعوا للعلمنة خلال نهاية القرن العشرين تصوراً بعد نقد النموذج الكلاسيكي الذي كان يربط تراجع الدين واضمحلاله بالحداثة، وبهذا نجد أنه يرى العلمنة لا تمثل فقط ظاهرة واحدة متجانسة، بل يتضمن ثلاث عمليات او مستويات متميزة يجب التمييز بينها من أجل الفهم الواضح لطبيعة العلاقة بين الدين والمجتمع الحديث وهي كما يلي:

أولاً: العلمنة كتمايز وظيفي بين المجالات الاجتماعية ويقصد بها أن استقلال المجال الديني عن الاجتماعي كالدولة والعلم والاقتصاد وتعد انتقال من نظام الكنيسة الذي يهيمن ويسيطر على جميع مجالات الحياة الى نظام حديث يفصل بين كل ماهو ديني وسياسي. (casanova، 2024، صفحة 19)

2.2. عودة الدين وخرق البراديجم

لقد كان للحدثة ارتباط طویل بمقولة " أفول الدين " حيث كان الاعتقاد في جل النظريات الكلاسيكية للعلمنة أن التقدم العلمي والعقلاني يؤدي بالضرورة الى تراجع الدين وضمحلالة وايضا انحصاره في المجال الخاص، الا أنه في العقود الاخيرة بينت أن هذا الطرح أصبح لا يتسم بالدقة لأن الدين قد عاد ليفرض نفسه في المجال العام، وذلك من خلال تواجده في الحركات الاجتماعية والسياسية. ففكرة "عودة الدين" أعادت النظر في مدى صلاحية الأطروحات الكلاسيكية للعلمنة وحدودها من اجل اظهار دور الدين في الفضاء الاجتماعي والسياسي.

لقد جاء مصطلح " إزالة العلمنة من العالم" كما استعمله للمرة الأولى في بداية التسعينات عالم الاجتماع الأمريكي بيتر بيرغر، "هو عودة الدين ليحتل مكانته في الغرب على حساب العلمانية. واللافت أن بيرغر الذي كان مدافعا قويا عن أطروحة العلمنة، كان أول من أقر بأنه كان مخطئا عندما لم يعترف بأن العالم مازال شديد التدين كما كان في السابق" (حيدر، 2017، صفحة 9). ويقصد بيرغر هنا أن اليقين العلماني الحديث الذي عرف به خطاب التنوير قد أفل وهذا ما فتح الباب لقراءة جديدة ترى في الدين قوة يمكن لها أن تتكيف وشروط الحدثة لا مجرد بقايا وفتات من الماضي يجب تجاوزها وفقط، فبدل أن يختزل الدين كونه عائقا أمام التقدم بات من رافد من الروافد الأساسية للمعنى والقيم والانسجام والتناسق الاجتماعي، وبهذا صارت العلاقة بين الحدثة والدين ليست علاقة تضاد بل علاقة دينامية تتغير تبعا للسياقات التاريخية والثقافية.

ونجد أن "خوسيه كازانوف" هو الآخر قد ناقش وطرح فكرة عودة الدين ففي كتابه (الأديان العامة في العالم الحديث) اهتم بعودة الدين الى الفضاء العام ومنه استخلص عبارتين " العبرة الأولى أن الأديان موجودة لتبقى، وبذلك يكون قد تبدد أحد أحلام عصر التنوير، والعبرة الثانية والأهم أن الأديان سوف تظل على الأرجح تضطلع بأدوار عامة بارزة في البناء المتواصل للعالم الحديث. وتحملنا هذه العبرة الثانية بشكل خاص على إعادة التفكير منهجيا في العلاقة بين الدين والحدثة، والأهم من ذلك، بالأدوار المحتملة التي قد تؤديها الأديان في النطاق العام للمجتمعات الحديثة (خوزيه، 2005، صفحة 17). لقد كان موقف كازانوف هنا تصحيحا للموقف العلماني الكلاسيكي الذي يفصل بشكل قاطع الدين والمجال العام، فعودة الدين في نظره لا تعني تراجع للحدثة بل تكشف حدود تصور العلمنة الاحادي أي أن الدين أعاد تشكيل نفسه ليتكيف ويتوافق مع فضاء عام علماني وبذلك يفتح أفقا فلسفيا لفهم العلاقة بين العقل والايمان، بين المقدس والمدني وذلك في عالم لم تعد العلمانية وحدها من تستطيع تقديم تفسير له.

لقد انتقد "يورغن هابرماس" التصور الكلاسيكي للعلمنة والقاتل بأن التقدم العلمي يؤدي لا محالة الى اختفاء الدين، ويؤكد أن هذا التصور لم يتحقق تاريخيا وكان دليله في ذلك أن الدين ما يزال حاضرا بقوة في المجتمعات العلمانية الحديثة. فهابرماس عند تحدته عن عودة الدين في المجتمعات الحديثة هو لا يقصد أن العالم عاد الى الخلف، بل يقصد أن الدين قد عاد من أجل أن يلعب دورا مؤثرا في حياة العامة والسياسية بعد أن كان الظن السائد لدى

أشكال التعبير التاريخي عن تجربة الانسان في سعيه للفهم.

يظهر اشتغال هابرماس وتركيزه على المسألة الدينية في كتاباته المتأخرة اذ كانت كتاباته الفلسفية ومنذ الألفية الى يومنا هذا تعالج السؤال الديني من حيث البحث عن الآليات التي يمكن من خلالها دمج الجماعات الدينية في الفضاء العام، وقد برزت هذه العدو الدينية بشكل جلي بعد احداث 11 سبتمبر 2001 التي أعادت الدين الى صدارة النقاش العالمي الجديد، بهذا نلاحظ أن هابرماس قد تراجع جزئيا عن مواقفه السابقة للدين فهو يرى أن المجتمعات الصناعية المتقدمة تشهد اليوم فقداناً للأمل في النعمة والخلص، بعد أن هيمنت القيم التقنية والمادية على الحياة الإنسانية، وأضعفت المبادئ الدينية فيقول في هذا: "اليوم اننا نشهد داخل المجتمعات الصناعية المتقدمة، وللمرة الاولى فقدان الأمل...وتظهر بعض المؤشرات أن التخلي الكثيف عن مبادئ الدين اليقينية المنقذة يؤدي الى ارتسام هلينية جديدة، أي إلى نكوص إلى ما دون المستوى الذي بلغته الديانات الكبرى التوحيدية حيث تتشكل الهوية في اطار الحوار مع الله" (هابرماس، 1995، صفحة 47). وبالأستناد لما قاله هابرماس فالدين من منظوره هنا يظل عنصرا لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه يحمل في جوهره قيما إيمانية أساسية لا يمكن التخلي عنها، وكذا لا غنى للإنسان عنها، فالمجتمعات ما بعد العلمانية رغم تقدمها التقني لا تزال في حاجة إلى القوة الروحية التي تساعد على مواجهة الأزمات التي أنتجها هذا التقدم نفسه، وتكمن فائدة الدين في قدرته على حماية الإنسان من المشكلات التي تنبع من الوجود

المفكرين أن الدين سينتهي دوره مع الحداثة. ونجد أن هابرماس يلخص عودة الدين في ثلاثة نقاط اساسية وهي:

- انتشار دعوات تبشيرية.
- ظهور حركات دينية أصولية جديدة على الصعيد العالمي.
- ظهور العنف الديني. (الهلاي، 2021، صفحة 9)

من هذا نلاحظ تأثر "هابرماس" في بداياته بالتيارات الفلسفية المادية والعدمية والوجودية، مما جعله ينظر الى الدين بوصفه ظاهرة تتجاوز التاريخ، ولم يمنحه في أعماله الأولى مكانة مركزية داخل الفضاء العام. ففي تلك المرحلة تبنى موقفا عقلانيا صارما يرى أن الدين فقد ضرورته وأهميته في الحياة الحديثة، وأن مسار الفكر الانساني تطور من الأسطورة الى الميتافيزيقا، ثم الى العقلانية العلمية، أي أن هذا التقدم العقلي للبشرية جعل المرجعية الدينية غير ملائمة لعصر الحداثة.

الا أن هذا الموقف الأولي كان يتعلق بفهم معين لتاريخ العقل، حيث رأى "هابرماس" أن الأديان ساهمت في ترسيخ فكرة الحقيقة المطلقة، لكنها فقدت قيمتها كمصدر للمعرفة في ظل هيمنة وسيطرة التفكير العلمي والعقلاني، فمع تقدم الاكتشافات العلمية تراجع الدين عن دوره كمعيار للحقيقة ليصبح نسبيا مثله مثل بقية أنشطة الفضاء العام، وهذا المعنى فهابرماس في مرحلته الأولى كان الدين في نظره قد تحول من سلطة معرفية مطلقة الى خطاب رمزي يمكن فهمه ضمن تطور وتغير اشكال الوعي الانساني، لا بوصفه حاملا للحقيقة النهائية بل كشكل من

ان التحول الحاصل في الموقف الفكري ليورغن هابرماس من بين أكثر التحولات في الفكر الفلسفي المعاصر، إذ نجد موقفه يعكس انتقالاً من الرؤية الحداثيّة الصارمة التي عدت الدين مرحلة تجاوزها العقل إلى رؤية أخرى أكثر انفتاحاً حيث تعترف بالدين وبدوره الأساسي في المجال العمومي، فقد كان هابرماس في أعماله الأولى " في مقالة له نشرها عام 1988 أن مواقفه السابقة من الدين كانت مشوبة بالتسرع، وبناء على هذا التطور في فكره لم يعد الدين يقبع في حواشي الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية وهوامشها. وهذا يفتح أبواباً جديدة لفهم الدين ويعكس تحولاً في طريقة التعاطي معه" (حسن غفاري معصومة بهرام، 2017، صفحة 73) ومنه فهابرماس قد انطلق من فرضية ترى أن مشروع التنوير قادر على تحقيق التكامل الاجتماعي عبر العقل والخطاب المتداول فقط، دون الحاجة إلى المرجعيات الدينية، إلا أن التطورات التي شهدتها العالم المعاصر وما شهدته من عودة قوية للدين إلى الساحة العمومية، هذه الرؤى دفعت هابرماس إلى إعادة النظر في كثير من مسلماته التي كان يتبناها سابقاً، فقد أدرك أن الدين بدل أن يكون بقايا ما قبل الحداثة، أصبح الدين فاعلاً معرفياً وأخلاقياً لا يمكن تجاهله أو تخطيه في المجتمعات التعددية.

بهذا المعنى لم يعد الدين عند هابرماس مجرد ظاهرة خاصة بل مكون أساسي في الفضاء العمومي، بل الدين عنده قادر على الإسهام في انتاج وتعزيز الحوار بين المواطنين باختلافهم وباختلاف انتماءاتهم، " هابرماس في محاولته فهم الحقائق الدينية يريد أن يتحول الفضاء العمومي إلى فضاء مفتوح للعلماني والمتدين، وهذا في حد

الخارجي، إذ يمنح الأفراد السكينة والعزاء في أوقات الشدائد والمحن، على عكس العقل الذي يعجز وحده عن تقديم إجابات تمنح الأمل أو تضمن الطمأنينة الوجودية.

بهذا نخلص إلى أن هابرماس يرى أن فكرة عودة الدين لا تمثل ارتداداً إلى المجتمع التقليدي، بل تعدّ تطوراً جديداً في مسار العلاقة بين الدين والحداثة. إذ يمكن للأديان أن تؤدي دوراً فاعلاً في إحياء الخطاب الأخلاقي والسياسي داخل المجتمعات التعددية. شريطة أيعاد صياغة الخطاب الديني بلغة عقلانية مشتركة تمكن جميع الأفراد من فهمه والتفاعل معه في الفضاء العام، ويقول هابرماس في هذا " في رأيي، ضعف نظرية العلمنة يعود إلى الاستنتاجات المتسارعة الناتجة عن استخدام غير دقيق لمفاهيم " العلمنة" و " الحداثة"، فما هو صحيح هو أنه، مع تمايز الأنظمة الاجتماعية الوظيفية، اضطرت الكنائس والجماعات الدينية إلى حصر نفسها في وظيفتها الأساسية المتمثلة في الرعاية الروحية، والتخلي عن سلطاتها في المجالات الأخرى في المجتمع" (casanova، 2024، صفحة 28) ويفهم من هذا أن هابرماس لا يرى أطروحة العلمنة قد انتهت أو أنها قد أصبحت باطلة، بل يعتبر أن المشكلة تكمن في سوء فهم العلاقة بين العلمنة والحداثة، بمعنى آخر العلمنة لا تلغي دور الدين كلياً، لهذا نجد أن هابرماس يتفق مع خوسيه كازانوفاً في أن الدين رغم فقدانه سلطته العامة بسبب النزعة الفردية، لم يفقد تأثيره ولا أهميته في المجالين السياسي والثقافي أو في حياة الأفراد الشخصية.

3. الدين كمصدر للقيمة في المجتمع التعددي المعاصر

ذاته موقف إيجابي ومهم من الدين، والمهم في التحول الذي حصل في فكر هابرماس هو كشفه عن الخطأ الذي وقعت فيه الحداثة وما بعدها في موقفهما من الدين... يظهر من هابرماس اعتقاده أن الانسان المعاصر لا يمكنه حل مشكلاته الحياتية بعيدا عن الدين والمفاهيم الميتافيزيقية" (حسن غفاري معصومة بهرام، 2017، صفحة 91)، وهذا فان التحول الجوهرى في فكر يورغن هابرماس يتمثل من خلال ما سبق في محاولته إعادة فهم الحقائق الدينية وإدماجها ضمن فضاء العقل التداولي الحديث، ومنه فمقارنته الجديدة نجد أنه قد فتح المجال أمام حوار متبادل بين الإيمان والعقل، بين المتدين والعلماني، في أفق مفتوح يقوم على الاحترام والتفاعل لا على الاقصاء أو التخطي.

4. ما بعد العلمانية بوصفها نظرية في الترجمة الخطابية

لقد كان الدين ركيزة اساسية استند الانسان منها معناه ومرجعته القيمة والأخلاقية الا أن غيرت الحداثة الغربية ذلك بما حملته من نزعة وتصور عقلاني وعلماني صارم حيث سعت الى الفصل بين المجالين الديني والسياسي، معتبرة أن العقل وحدة يمكن له أن يؤسس نظام اجتماعي وسياسي يقوم على أسس عقلانية محضة، وقد شكل هذا التوجه المقوم المركزي لمشروع التنوير، والذي يرى في الدين العائق والحاجز أمام تحرر العقلانية، لكن التحولات التي شهدتها العالم المعاصر من تصاعد للحركات الدينية، وبروز الهويات الايمانية في المجال العام، وعودة النقاش حول الدين والقيم في ظل الأزمات الأخلاقية والسياسية الحديثة وهذا كان سبب في ظهور محدودية وقصور التصور العلماني الصارم، والكشف عن الحاجة الى إعادة النظر في موقع الدين وتحديد دوره ضمن المجتمعات التعددية المعاصرة.

في هذا السياق، جاء التحول في فكر يورغن هابرماس ليشكل مراجعة جوهرية للفكر الحدائي من الدين، فبعد أن كان من أبرز المدافعين

ذاته موقف إيجابي ومهم من الدين، والمهم في التحول الذي حصل في فكر هابرماس هو كشفه عن الخطأ الذي وقعت فيه الحداثة وما بعدها في موقفهما من الدين... يظهر من هابرماس اعتقاده أن الانسان المعاصر لا يمكنه حل مشكلاته الحياتية بعيدا عن الدين والمفاهيم الميتافيزيقية" (حسن غفاري معصومة بهرام، 2017، صفحة 91)، وهذا فان التحول الجوهرى في فكر يورغن هابرماس يتمثل من خلال ما سبق في محاولته إعادة فهم الحقائق الدينية وإدماجها ضمن فضاء العقل التداولي الحديث، ومنه فمقارنته الجديدة نجد أنه قد فتح المجال أمام حوار متبادل بين الإيمان والعقل، بين المتدين والعلماني، في أفق مفتوح يقوم على الاحترام والتفاعل لا على الاقصاء أو التخطي.

يعتبر هذا المسار الجديد في فكر هابرماس لا يمثل تراجع أو تقهقر عن مشروع الحداثة، بل تطويرا له في اتجاه أكثر شمولاً وإنسانية، وعلى الإيمان بأن الخطاب الأخلاقي لا يكتمل ولا يتحقق الا من خلال استيعاب المجال العام لتلك الموارد الرمزية التي يقوم عليها الدين، بهذا يصبح الدين فاعلا في إثراء النقاش الأخلاقي. لهذا نجد أن يورغن هابرماس " يرى أن الدين منشأ لكثير من القيم التي تبناها الحداثة، مثل: العدالة والمساواة، والسلام، والأمن، والسعادة البشرية." (حسن غفاري معصومة بهرام، 2017، صفحة 93).

من خلال هذا التطور الحاصل في فكر هابرماس والذي أقر فيه بدور الدين وأهميته نجد أنه بين وأظهر أن الدين مصدر للقيم التي كانت الحداثة تدعي أنها أنتجتها لكن أصلها الحقيقي هو الدين، وبالتالي فالحداثة هنا لا يمكنها انكار فضل الدين

والموافقين للمشروع الحدائي العقلاني، انتقل في مرحلته الفكرية المتأخرة الى ما سماه بالمنعطف ما بعد علماني معترفاً بأن المجتمعات الحديثة لا يمكن لها الاستغناء عن كل ما يقدمه الدين.

لقد استخدم يورغن هابرماس مصطلح "ما بعد العلمانية" لأول مرة بوضوح في مقاله الشهير "Notes on Post-Secular society" ثم توسع فيه بعدها في كتبه وحواراته، ويعد هابرماس من أوائل من صاغ مفهوم "المجتمع الما بعد علماني" في الفكر الغربي المعاصر، وذلك في سياق نقده لأطروحات العلمنة الكلاسيكية التي افترضت انحسار الدين وزواله في المجال العام. فهابرماس يرى أن المجتمع الغربي المعاصر في حقيقته فيعبر عنه أنه: "مجتمع علماني سابق بدأ يعي مجدداً الحضور المستمر للدين في المجال العام، ويتعلم كيف يتعامل معه كقوة اجتماعية وأخلاقية لا يمكن تجاهلها" (habermas, 2008, p. 19)، فما بعد العلمانية حسبه لا تعني تجاوز طرح العلمانية، بل تعني وعيها الذاتي بحدودها واستعدادها للانفتاح على كل ما هو ديني.

وقبل أن نحدد ونضبط مفهوم مجتمع ما بعد العلمانية عند هابرماس، فإننا نحدد تصوره والذي يحدد على أثره الشروط الواجب توافرها لكي نتحدث عن مجتمع ما بعد علماني، وهو كما يلي:

- يجب أن يكون مجتمع ما بعد العلمانية في إطار دولة علمانية وليس دينية
- يمكن تطبيق هذا المصطلح على البلدان أو المجتمعات الأوروبية الغنية
- يرجع السبب في امكانية تطبيقه على هذه المجتمعات أو الدول، إلى أن هذه الأخيرة ترسخ لديها وعي عميق بأنها تعيش

فعالاً تحت مجتمع معلم، وهو ما تدل عليه المؤشرات الاجتماعية، ومن ثمة فإنه يمكن وصف هذه المجتمعات بـ "ما بعد العلمانية" (habermas, 2008، صفحة 4).

ومنه فالشروط الثلاثة التي وضعها يورغن هابرماس لتحديد ملامح المجتمع "ما بعد العلماني" تظهر لنا التحول الفكري لهابرماس من العلمنة الصلبة التي ميزت مشروع الحدانة الأولى الى علمنة نقدية متفتحة تعيد ادماج البعد الديني ضمن أفق التواصل العمومي كما وتعي محدوديتها.

إن "ما بعد العلمانية" عند هابرماس لا تعبر عن قطيعة مع الحدانة، بل تعبر عن مرحلة ناضجة داخلها، حيث الوعي الغربي بدأ بإعادة تقييم نتائجه التاريخية والأخلاقية بعد قرون من العلمنة. هذا التحول لا يعني بأي حال من الأحوال العودة الى هيمنة الدين أو الى سلطة لاهوتية على السياسية، بل تعني فقط الاعتراف أن الدين لا يزال يحتفظ بوظيفة معنوية قيمة لم يستطع المجتمع الحديث الاستغناء عنها، خاصة في ظل الأزمات الأخلاقية التي رافقت صعود الفردانية والعقل الأداتي.

لذلك يمكننا القول أن "ما بعد العلمانية" عند هابرماس تمثل تحولاً معرفياً وأخلاقياً في النظر إلى الدين داخل المجتمعات الحديثة، فهي لا تلغي الحدانة بل تصحح لها مسارها، ولا تعيد الدين الى السلطة بل تعيد له مكانته في الخطاب العمومي كمصدر للمعنى الأخلاقي. ومن هذه الشروط نخلص الى أن، ما بعد العلمانية ليست مرحلة زمنية بعد انتهاء العلمنة، بل لحظة تأمل نقدي داخلها، تعترف بحدودها كما وتفتح المجال أمام إعادة بناء العلاقة بين العقل والايمان على

فكرة مجتمع ما بعد العلمانية عند هابرماس تتأسس انطلاقاً من مجتمع علماني أي لا يمكن أن تتطور إلا في إطار مجتمعات قد وصلت إلى مراحل متقدمة من التطور الفكري والمادي معا. إن ما يهم هابرماس ليس إصدار أحكام أو تبني مواقف تجاه المعتقدات الدينية للجماعات والأفراد، بل ما يهيمه بالأساس هو أن يكون النقاش داخل المجال العام السياسي قائماً على منطلقات عقلانية تؤمن بالتعدد، لذلك يجب " لجميع الجماعات الدينية أن تكون قادرة على اكتساب تفكير ذاتي ونظرة تعددية عن الحداثة، ذلك أن مزاعم الحقيقة لغير المؤمنين تفهم كخلافات لا مفر منها وجب التعامل معها في خطاب عقلاني وليس رفضها بلا تمحيص" (مات، 2017، صفحة 8). لهذا يرى هابرماس أنه من الضروري أن تكون الجماعات الدينية قادرة على اكتساب تفكير ذاتي تعددي، أي أن تتجاوز تصوراتها المطلقة وتفهم إيمانها ضمن تصور عقلاني يتيح الحوار.

ومنه فالعقلانية هنا من منظور هابرماس لا تقتضي استبعاد المعتقدات أو رفضها، بل تدعو إلى التعامل معها في إطار خطاب عقلاني مفتوح، يتأسس على النقاش الحر والتبادل المبني على التعلم والفهم، ويعتبر هذا الأسلوب في التعامل هو أكثر ما يميز المجتمع ما بعد العلماني، حيث تطرح الإشكالات على طاولة الحوار بعيداً عن الأحكام السابقة، ويرجع في النهاية إلى قوة الحجة التي تدافع عن نفسها وتبرر لموقفها أمام الحجج الأخرى.

إن فهم مشروع هابرماس الفكري لا يكتمل دون الربط بين تصوره للمجتمع ما بعد العلماني وبين نظريته الخطابية التي تشكل الإطار المفاهيمي

أساس التواصل والاعتراف المتبادل، لا على أساس الصراع أو الاقصاء أو النبذ.

إن ما سبق يقودنا إلى تعريف " مجتمع ما بعد العلمانية" عند هابرماس بشكل دقيق وهو كما يلي: " يشير إلى التمرس بوعي جديد أو تشكيل ثقافة سياسية ليبرالية يعاد معها بناء العلاقات بين المؤمنين وغير المؤمنين، والأحرى القول بين المجموعات الدينية وبين الذين لا تحركهم دوافع دينية، أو بين القوى العلمانية والقوى الدينية، عبر الأخذ بتعددية أنماط التفكير وأنظمة القنوات والمصالح في الفضاء الاجتماعي. وهذا مسوغ العقل التواصل المهيمن عبر الانخراط في المناقشات العمومية، ببناء مساحة أو أرضية مشتركة من القواعد والقيم واللغات " (حرب، 2010، صفحة 237). ومن هذا التعريف يتبين لنا أن ما بعد العلمانية عند هابرماس تعني تجاوز الطرح القائل بأن التحديث يتلزم ويتلاءم مع العلمانية وليس مع الدين الذي همش، وبالتالي لم يعد له دور واضح ومميز في الفضاء العام، ومنه فكرة ما بعد العلمانية تدعو وتسعى إلى بعث ثقافة الحوار بين الديني والعلماني.

إن ما بعد العلمانية حسب هابرماس يقصد بها "الوضع الذي يرتبط فيه العقل العلماني والوعي الديني الذي أصبح تأملياً" (يورغن، 2017، صفحة 20) في علاقة تتسم بالاعتراف المتبادل، فهابرماس يؤكد هنا عند تعلق الأمر بالجانب الأخلاقي تظهر أهمية أن ينصت العقل العلماني إلى العقل الديني، ولهذا وجب الاعتراف بحيوية الأديان في الفضاء العام، ومنه استبعاد النظرة الاختزالية للدين بحيث لا ينكر المواطنون العلمانيون في دورهم كمواطنين أن العالم الديني نظرة تشكيكية في نقاشاتهم العامة للدين، إذا

والمناهجي لفهم موقفه من الدين والفضاء العام، ففكرة الترجمة الخطابية من أبرز المفاهيم التي قدمها يورغن هابرماس ضمن مشروعه حول المجتمع ما بعد العلماني، ينطلق هذا المفهوم من قناعة أساسية تقول: "أن الخطاب الديني لا يزال يحمل موارد أخلاقية ومعنوية قيمة يمكن أن تساهم في إثراء النقاش العمومي، شرط أن يتم ترجمتها الى لغة عقلانية عمومية يمكن لجميع المواطنين سواء كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين فهمها والمشاركة في تداولها (Habermas, 2008, p. 130). فهابرماس يرى أن الخطابات الدينية تعبر عن حدوس أخلاقية عميقة تتعلق بالعدالة والكرامة الانسانية والتضامن داخل المجتمع، غير انها تقدم عادة في إطار لاهوتي خاص يصعب على غير المنتمين والمتبعين الى ذلك التقليد الديني استيعابه وفهمه.

5. الخاتمة

تأسيساً لكل ما سبق يمكن استخلاص العديد من النتائج التي تعكس مسار فكر يورغن هابرماس وتطوره وهي كما يلي:

لقد وجه هابرماس نقداً جوهرياً الى نظرية العلمنة الكلاسيكية التي افترضت أن التحديث والعقلنة سيؤديان حتماً إلى انحسار الدين وزوال تأثيره من المجال العام، ويرى هابرماس أن هذا التصور أثبت فشله وقصوره أمام الواقع المعاصر الذي يشهد عودة قوية للدين الى الفضاء العمومي، سواء في الغرب أو خارجه، فالطروحات الحديثة بينت أن الدين لم يفقد قدرته على إنتاج القيم الأخلاقية، بل لا يزال يؤدي وظيفة تربط بين الإيمان والضمير الجمع، ان هذه النظرية انطلقت من فرضية مفادها أن التقدم العلمي والتقني الى جانب انتشار الفكر العقلاني، سيؤديان حتماً الى تهميش الدين وتحويله الى شأن خاص بالفرد، غير أن هابرماس في قراءته النقدية للتجربة الغربية الحديثة، يبين

والمناهجي لفهم موقفه من الدين والفضاء العام، ففكرة الترجمة الخطابية من أبرز المفاهيم التي قدمها يورغن هابرماس ضمن مشروعه حول المجتمع ما بعد العلماني، ينطلق هذا المفهوم من قناعة أساسية تقول: "أن الخطاب الديني لا يزال يحمل موارد أخلاقية ومعنوية قيمة يمكن أن تساهم في إثراء النقاش العمومي، شرط أن يتم ترجمتها الى لغة عقلانية عمومية يمكن لجميع المواطنين سواء كانوا مؤمنين أم غير مؤمنين فهمها والمشاركة في تداولها (Habermas, 2008, p. 130). فهابرماس يرى أن الخطابات الدينية تعبر عن حدوس أخلاقية عميقة تتعلق بالعدالة والكرامة الانسانية والتضامن داخل المجتمع، غير انها تقدم عادة في إطار لاهوتي خاص يصعب على غير المنتمين والمتبعين الى ذلك التقليد الديني استيعابه وفهمه.

وبه يقترح هابرماس أن يتولى المواطنون المتدينون مهمة تحويل المضمون الأخلاقي للخطاب الديني الى لغة عامة خالية من المرجعيات الإيمانية الخاصة، حتى يصبح بالإمكان دمجها في النقاش العام دون المساس بمبدأ الحياد الذي تقوم عليه الدولة الديمقراطية الليبرالية، ويعطي هابرماس لذلك مثالا من الفكر المسيحي اذ يقول "يمكن ترجمة المفهوم الديني القائل بأن الانسان مخلوق على صورة الله الى مبدأ عقلاني كوني مفاده أن لكل إنسان كرامة متأصلة يجب احترامها وهي صيغة يمكن تبنيها من طرف جميع المواطنين مهما كانت خلفياتهم العقيدية أو الفلسفية" (هابرماس، 2013، صفحة 25).

كما ويؤكد هابرماس أن هذه العملية "لا تعد تبسيطاً أو تفريغاً للخطاب الديني من محتواه، بل

متجاوزة أو منحصرة في المجال الخاص، بل والدين لا يزال مكونا فاعلا في البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات الحديثة والتعددية، وعليه فإن ما بعد العلمانية في منظور هابرماس لا تنفي الدين أو تقصيه، بل تسعى إلى تنظيم حضوره في المجال العام ضمن تصور ديمقراطي يضمن التعددية الثقافية والدينية

من أهم المساهمات التي قدمها يورغن هابرماس في سياق تفكيره حول العلاقة بين الإيمان والعقل في المجتمعات ما بعد العلمانية، فهو لا يتعامل مع الدين بوصفه بقايا ميتافيزيقية من الماضي وجب تجاوزها، بل كمخزون رمزي ديني وأخلاقي يمتلك القدرة على إغناء الفضاء العمومي المعاصر، غير أن هذا الإسهام لا يتحقق إلا ضمن عملية ترجمة تداولية تجعل الخطاب الديني قابلا للفهم وقابلا للتداول داخل مجتمع تعددي تسوده مبادئ العقل العمومي والتواصل. وبهذا تصبح الترجمة آلية للتواصل بين العوالم المختلفة داخل المجتمع الواحد، وتسمح بتجاوز الثنائية التقليدية بين المقدس والعقلاني، فهي تسعى إقحام الدين في الفضاء العلماني، بل وفتح أفاق تمكن القيم الدينية من الإسهام في بناء ما سماه الضمير الجمعي المشترك، شرط ألا يتعارض مع مبادئ الدولة.

يبقى السؤال الذي يطرح نفسه هو:

إلى أي حد يمكن فعلا تجسيد الرؤية الهابرماسية لمجتمع ما بعد علماني، في عالم يشهد في الوقت ذاته تصاعد النزعات الأصولية من جهة، وتشدّد النزعات العلمانية المتطرفة من جهة أخرى؟ ثم هل تمتلك فكرة الترجمة الخطابية القدرة الواقعية على تحقيق توازن حقيقي بين الإيمان والعقل، وبين المقدس والمدني، في ظل استمرار

أن الواقع الاجتماعي والسياسي المعاصر فند هذه الفرضية، إذ يشهد العالم اليوم عودة متزايدة للحركات الدينية، وحضورا قويا للخطاب الديني في المجال العمومي حتى داخل المجتمعات الأوروبية التي كانت تعد رموزا للعلمانية الصارمة. يدعو هابرماس إلى تحديث الوعي الديني عبر انخراط المؤمنين في الفضاء العمومي، وعدم الانغلاق داخل الأطر اللاهوتية الجامدة، ويتطلب ذلك وعيا نقديا يتيح تحويل المضمون القيمي للنصوص المقدسة إلى لغة تداولية منفتحة، بما يسمح بمواكبة المستجدات المعرفية والسياسية، وتحقيق التعايش السلمي بين الطوائف الدينية المختلفة داخل الدولة الحديثة. فهابرماس يرى أن الدين في جوهره يحمل مضامين إنسانية تدعو إلى قيم مشتركة بعيدا عن الأصولية التي تعيق الحداثة وتدعو للعنف، ومنه فهابرماس يؤكد ضرورة تحقيق التعددية الثقافية والدينية عبر أخلاقيات التواصل والمناقشة التي تسمح بوجود حوار بين الدين والعلمانية، بحيث لا يطلب من المتدينين التخلي عن قناعاتهم ضمن المجال العام التعددي، وإنما أن تقوم العلاقة على الحوار من أجل الوصول إلى الاعتراف والتفاهم المتبادل.

إن مشروع ما بعد العلمانية عند يورغن هابرماس يهدف إلى تجاوز القطعية بين الدين والعقل، وذلك عبر تأسيس تواصل أفقي متكافئ بين المواطنين مهما اختلفت معتقداتهم، يقوم على التواصل على مبادئ الحوار، والتسامح، والنقاش الأخلاقي من أجل تشكيل رأي عمومي نقدي يسهم في ترسيخ القيم الإنسانية المشتركة، بهذا يكون هابرماس يعيد النظر في العلاقة بين الدين والعقلانية، فبدلا من اعتبار الدين ظاهرة

- هيمنة الايديولوجيات سواء كانت علمانية أو دينية التي تعطل إمكان قيام تواصل عقلائي تداولي حر بين الفاعلين داخل الفضاء العمومي؟ قائمة المراجع
- أولا- المراجع باللغة العربية
- حسن غفاري معصومة بهرام. (2017). دور الدين في الفضاء العمومي دراسة في تطور رؤية هابرماس الفلسفية . مجلة الاستغراب.
 - ديفيد مارتن. (2018). في العلمنة نحو نظرية عامة منقحة . بيروت : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
 - شيدي مات. (16 اغسطس، 2017). الدين في الفضاء العام: حدود مقترح هابرماس وخطاب أديان العالم . مؤمنون بلا حدود.
 - طلال أسد. (2017). تشكلات العلماني في المسيحية والحداثة و الإسلام. لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع.
 - عزيز الهالبي. (2021). عودة الدين إلى الفضاء العمومي في مسألة المشروع العلماني . المغرب : مؤسسة مؤمنون بلا حدود.
 - علي حرب. (2010). الانسان الأدنى أمراض الدين وأعطال الحداثة . لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
 - كازانوف خوزيه. (2005). الأديان العامة في العالم الحديث . لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
 - محمود حيدر. (2017). ما بعد العلمانية منطق الحدث وفتنة المفهوم. لبنان: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية.
 - محمود حيدر. (2019). ما بعد العلمانية. لبنان: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.
- ثانيا- المراجع باللغة الأجنبية
- *Notes on Post-secular society . New Prespectives Quarterly.* (2008). *habermas j*
 - *Habermas jurgen . (2008) . between Naturalism and Religion . philosophical essays.*
 - *José casanova . (2024) . public religions in the modern world .chicago: univesity of chicago press.*
 - *Jürgen Habermas . (2008) . Between Naturalism and Religion: Philosophical Essays .Polity Press.*
 - *Jurgen habermas . (2008) . NOTES ON Post-Secular Society . New Perspectives.*
- هابرماس. (2013). *قوة الدين في المجال العام*. بغداد: دار التنوير للطباعة والنشر.
- هابرماس يورغن. (2017). هذا سبيلنا إلى مجتمع ما بعجد علماني . مجلة الاستغراب.
- يورغن هابرماس. (1995). *الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي* . سوريا: الحوار للنشر والتوزيع.